

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه .

أما بعد ...

فقد قلت فى كتابى « بينات الحل الإسلامى » : لعل « الفن » هو أكثر ما يشغب به على دعاة « الحل الإسلامى » فهم يقولون : إنكم تدعون إلى حياة تحرم فيها البسمة على كل فم ، والبهجة على أى قلب ، والزينة فى أى موقع ، والإحساس بالجمال فى أى صورة .

وأحب أن أقول : إن هذا الكلام لا أساس له من دين الله . وإذا كان روح الفن هو الشعور بالجمال ، والتعبير عنه ، فالإسلام أعظم دين - أو مذهب - غرس حب الجمال والشعور به فى أعماق كل مسلم .

وقارئ القرآن الكريم يلمس هذه الحقيقة بوضوح وجلاء
وتوكيد ، فهو يريد من المؤمن أن ينظر إلى الجمال ماثلاً
فى الكون كله ، فى لوحات ربانية رائعة الحُسن ، أبدعتها
يد الخالق المصور ، الذى أحسن خلق كل شىء ، وأتقن
تصوير كل شىء : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ (١) ،
﴿ مَا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ (٢) ،
﴿ صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِى أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (٣) .

ثم نرى القرآن الكريم يلفت الأنظار ، وينبه العقول
والقلوب ، إلى الجمال الخاص لأجزاء الكون ومفرداته . .

إن القرآن بهذا كله ، وبغيره ، يريد أن يوقظ الحس
الإنسانى ، حتى يشعر بالجمال الذى أودعه الله فىنا وفى
الطبيعة من فوقنا ، ومن تحتنا ، ومن حولنا . وأن نملاً
عيوننا وقلوبنا من هذه البهجة ، وهذا الحُسن الماثول فى
الكون كله .

وبعض الحضارات تغفل هذا الجانب وتوجه أكبر همها

(٢) الملك : ٣

(١) السجدة : ٧

(٣) النمل : ٨٨

إلى محاولات الإنسان إلى نقل جمال الطبيعة على حجر
أو ورق ، أو غير ذلك ، فهو يرى السماء أو البحر أو الجبل ،
أو الأنعام ، ولا يلتفت إلى ما فيها من سر الجمال الإلهي ،
وإنما يلتفت إليها حين تُنقل إلى لوحة ، أو صورة مشكّلة ،
فلت شعري أيهما أهم وأقوى تأثيراً في النفس البشرية :
الأصل الطبيعي أم الصورة المقلّدة ؟؟

إن الإسلام يحیی الشعور بالجمال ، ويؤيد الفن الجميل ،
ولكن بشروط معيَّنة ، بحيث يصلح ولا يفسد ، وبينى
ولا يهدم .

وقد أحيأ الإسلام ألواناً من الفنون ، ازدهرت في
حضارته وتميزت بها عن الحضارات الأخرى مثل فن الخط
والزخرفة والنقوش : في المساجد ، والمنازل ، والسيوف ،
والأواني النحاسية والخشبية والخزفية وغيرها .

كما اهتم بالفنون الأدبية التي نبغ فيها العرب من قديم ،
وأضافوا إليها ما تعلّموه من الأمم الأخرى ، وجاء القرآن
يمثل قمة الفن الأدبي ، وقراءة القرآن وسماعه عند من
عقل وتأمل إنما هما غذاء للوجدان والروح لا يعده ولا يدانيه

غذاء ، وليس هذا لمضمونه ومحتواه فقط ، بل لطريقة أدائه أيضاً ، وما يصحبها من ترتيل وتجويد وتحبير تستمتع به الأذان ، وتطرب له القلوب ، وخصوصاً إذا تلاه قارئ حسن الصوت ، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي موسى : « لقد أوتيتَ مزماراً من مزامير آل داود » (١) .

ولا مرء في أن موضوع « الفن » موضوع في غاية الخطر والأهمية ، لأنه يتصل بوجودان الشعوب ومشاعرها ، ويعمل على تكوين ميولها وأذواقها ، واتجاهاتها النفسية ، بأدواته المتنوعة والمؤثرة ، مما يُسمع أو يُقرأ ، أو يُرى أو يُحس أو يُتأمل .

ولا مرء في أن الفن كالعلم ، يمكن أن يُستخدم في الخير والبناء ، أو في الشر والهدم ، وهنا خطورة تأثيره . ولأن الفن وسيلة إلى مقصد ، فحكمه حكم مقصده ، فإن استُخدمَ في حلال فهو حلال ، وإن استُخدمَ في حرام فهو حرام .

(١) رواه البخارى والترمذى .

وقد عرضتُ لموضوع « الفن » وموقف الإسلام منه ،
فى أكثر من كتاب لى ، عرضتُ له فى كتابى « الحلال
والحرام فى الإسلام » فى فصل « اللّهُو والترفيه فى حياة
المسلم » ، وفى الحديث عن الصور والتصوير ، وفى
مواضع أخرى .

وعرضتُ له فى كتابى « فتاوى معاصرة » فى جزئه
الأول ، وجزئه الثانى ، فى فتاوى متعددة حول التصوير
والغناء ، بآلة وبغير آلة ، والدين والضحك ، واللّعب
بالشطرنج ، وغيرها .

وعرضتُ بتفصيل أوفى فى هذا البحث الذى يتناول
« الفنون » بأنواعها المختلفة ، المسموع منها والمشاهد ،
وألوان اللّهُو واللّعب ، ما يُضحك وما يُبكى ، وذلك
باعتباره ملمحاً بارزاً من « ملامح المجتمع المسلم الذى
نشده » . وفصل الفن واللّهُو فصل أساسى من كتابنا هذا
عن ملامح المجتمع .

وقد قرأ بعض الإخوة من الدعاة وأهل العلم والفكر
هذا البحث ، أو هذا الفصل ، فوجدوه وافياً فى موضوعه ،

مقنعاً في أدلته ، أصيلاً في نظريته ، معاصراً بواقعيته ،
فطلبوا إلى أن أفرده بالنشر ، ليعم النفع به ، فقد لا
يلتفت الناس إليه وهو جزء من كتاب كبير ، وقد يتعسر
على بعض الناس شراؤه .

فلم أجد بداً من الاستجابة لهم ، راجياً أن ينفع الله
بهذا البحث كل من قرأه ، وأن يجزي خيراً كل من شَهره
ونشره .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين .

القاهرة : ربيع الأول ١٤١٦ هـ - أغسطس (آب) ١٩٩٥ م .

د . يوسف القرضاوى

* * *